مقابلة أدبية مع :

مع الروائي الاميركي جيمس جونز

ترجمة كمال ممدوح حمدي

ولد جيمس جونز * في روبنسون بالايلينوي في ٦ نوفمبر ١٩٢١، وهو سليل اسرة ريفية يمتد نسبها الى عدة اجيال ، لكن لم يكد جونز يلتحق بمدرسة روبنسون العليا حتى كانت ثروة الاسرة قد نبددت فاضطر الى الالتحاق بالجيش سنة ١٩٣٩ عقب تخرجه مباشرة . وقد ارسل على الفور الى هاواي ، وهناك ، حيث كان يتلقى دروسه في الجبهة ، بدأ يحس لاول مرة بشغف الى تجربة الكتابة ، وهو يقول في ذلك :

« ارسلت الى معسكر « هيكمان فيلد » في هاواي ، وهناك وقعت على مؤلفات توماس وولف فبدت لي حياته المنزلية شديدة التشابه مع حياتي المنزلية الخاصة واحساساته عن نفسه شبيهة الى حد كبير باحساساتي عن نفسي ، عندئذ تحققت انني اصبحت كاتبا دون أن اعرف او دون ان اكون قد كتبت شيئا .

وكان جونز يقوم بالخدمة في سكوفيلد باراكس » صباح الهجوم الياباني على بيرل هاربور ، وقد جرح في موقع « جواد الكانال » ثم عاد جونز الى الولايات المتحدة في سنة ١٩٤٤ وعاش بعد ذلك السنوات العشر التالية في الايلينوي . وهناك كتب روايته الاولى « من الان والى الابد التي حققت نجاحا سريعا وفازت بجائزة الكتاب القومي في سنة ١٩٥١ ومنذ ذلك الوقت نشر اربع روايات اخرى ، « البعض جاءوا عدوا » سنة ١٩٥٧،و« المسدس» سنة ١٩٥٩ ، و « الخط الاحمر الدقيق » ١٩٦٢ ثم « اذهب الى الى صانع الارمل » ١٩٦٧ . وفي سنة ١٩٥٧ تزوج جونز بجلوريا موسولينو من مدينة نيويورك ، وانجبا طفلين وهم يعيشون جميعا الان في باريس .

وفيما يلي ترجمة نص الحديث الذي اجراه معه « نلسون الدريش » :

س : احب ان نبدأ بالحديث عن السبب الذي اتى بك الى باريس . اعرف انك قد تخلصت من المنزل الذي شيدته في الليني وجئت هنا لتستقر بشكل دائم تقريبا .

جونز : حقا ، اعتقد ان دافعي الاول ، في البداية على الاقل قد كان رواية كنت قد حددت خطتها لتدور حول الاميركيين المقيمين في باريس ، الاميركيين من جيلي وكما هم متميزون من الاميركيين في العشرينات . وهذا رائع في ذاته : الفارق في النكهة بين الجيلين . بل هي مسألة اكثر تعقيدا من هذا ، لكنها بالضرورة ستكون حول رجال الجاز ، بعض الفرنسيين وبعض الاميركيين وبعض الكتاب ايضا . وكانت الفكرة الاصلية ان ابني (احداثها) حول حياة وشخصية « دياجو رينار » عازف الجيتار الفجري .

س : اذكر انك كتبت عنه في روايتك « من الان والى الابد ».

جونز : وتلك هي الاضحوكة ، لقد احببت دائما موسيقاه اكثر مما احببت اي عازف منفرد لموسيقى الجاز استمعت اليه ، ولهذا ازداد شغفي بكل ما قرأت وسمعت عنه . وهو يبدو بحق شديد الفردية بمعنى ان الفجر غالبا ما لا يحملون ولاء من اي نوع الى اي وطن ، أعني أن دياجو لا يحمل اي حس أخلاقي بالانتماء السياسي باي معنى . ودور الجاز هنا مناسب ايضا ، كما ترى ، لان الجاز وحياة الجاز فضلا عن ذلك أشياء غير مشروعة تقريبا .(وقد كانت دائما كذلك ـ منذ الايام المبكرة مرتبطة بالقوارب النهرية) اعني بيوت الدعارة والسكر والحانات والمخدرات ، بل والجريمة وغير ذلك ، أعتقد ان هذا احد الاسباب التي جعلت الجاز تجتذب اليها كل الاجيال التالية من الاميركيين الشبان . انه نمط من الحياة يخرج بها عن اي التزام اخلاقي ،وهي وسيلة للفكاك من قبضات الحكومة البيروقراطية المتزايدة الجور .. فرجال الجاز يعيشون دائما على هامش القانون . انهم لم يكونوا قط حقيقة خارجية على القانون كما انهم لم يكونوا قط فيوقت ما محرومين من حماية القانون ، لكنهم دائما ما يظهرون هنا او هناك على تلك الحافة الشاذة التي لا شكل لها . وعلى ذلك فانا اسعى الى أن اكتشف في تلك الرواية ما اذا كان ذلك النمط من الفردية ، نمط دياجو ، يمكن ان يعيش اليوم في اي شكل . واعتقد أنه لو استطاع مواصلة الحياة فسيكون ذلك هناك، في الحياز ونمط الحياة ، الذي يكاد يكون غير مشروع ـ ان شئت هذا التعبير ـ بقدر يسمح لنا بتأمله كشيء خارج عنا .

س : الان وقد تركت اميركا ، هل ترى في هذه الحركة وضعا سياسيا يستهدف بتر اواصر صلة قومية ؟

جونز : كلا ، كلا على الاطلاق ، انني اميركي ، وساكون كذلك دائما . لقد احببت وطني ، هذا الوطن الكبير الغفل المتمدد حبا جما ، كما احببت شعبه الكبير الغفل والمتمدد ايضا . على اي حال انا لا احب السياسة ، ولا اضمن اعمالي ايماءات سياسية، كما تسميها . بل اني لا اؤمن بالسياسية ، انها بالنسبة لي تشبه احد تلك الامراض المزمنة المنفصة ، والتي تنطوي بالضرورة على خطر ولكنها ، بشكل عام ، مؤلمة فحسب ، والتي لا تملك الا ان تحتملها في حياتك ان حدث ان اصابتك السياسة تشبه الاصابة بمرض السكر . انها علم هي علم يقول اخدع ما وسعتك الخديعة ، انبثق من الحاجة الحيوانية البسيطة اكثر منه من اي شيء أخر . لو انني كنت ضخما ضعف ضخامتي هذه ، وكنت قوي البنية ضعف قوتي لاصبحت فيما اتصور سياسيا فوضويا ، كل الفوضى ، اما وانا على هذه الحال ، وانا بهذا التحول .. كلا في الحقيقةاعتقد ان من الخير لكاتب اميركي ان يبتعد عن وطنه، عن قارته ، وان يراها من موقع ممتاز بعيدا عن قبضة مناخها الوجداني المتسلط .

س : تقصد ان مناخ الرأي الاميركي عدائي بالضرورة الى ذلك النوع من الفردية الذي عبر عنه رينار ونوع الحياة التي يحياها ؟

واي مناخ رأى قومي سيكون عدائيا له ، في عالم يومنا . كان جدي قد اعتاد ان يضرب لي مثلا عندما كنت صبيا ، كان يقول « تذكر يا بودر (وبودر هذا هو اللقب الذي كان يناديني به) تذكر دائما انني معك دوما ، لكنني سأكون معك وانت على حق اكثر مما سأكون معك وانت على باطل » .

---

* ادين بالشكر للصديق بهاء طاهر على تفضله بمراجعة ترجمة هذا الحوار .

وهذا حقيقة هو شعوري نحو اميركا ، لا جدوى من محاولة القول اننا لم نقترف قدرا هائلا من الشرور ، لقد اقترفنا بالفعل. مثل مكارثي . وجلسات اللجان الفرعية حين دفعت الاميركيين الى الوشايه المزرية باصدقائهم ، ملقين برنج لاردنر واخرين الى غياهب السجون عقابا على اتخاذهم موقفا رافضا ، ودافعين بغيرهم الى الفرار ثم الاختفاء ومانعين عن غيرهم حق العمل ، ومدرجين بعضا اخر في القوائم السوداء . انها نقطة سوداء في جبين تاريخنا . لكن مثل هذه المواقف قد بدأت تتغير الان ، وبوسع واحد هزيل مثل ارثر ميللر ان يهب ليحارب اذا شاء ويجعل منها قضيته .

س : بالمناسبة هل وجدت اية صعوبة في نشر روايتك « من الان والى الابد » ؟

ج : بعض صعوبات ، اغلب الظن . لكنها كانت متعلقة كلها بالجنس وليس بالسياسة . لقد راجعتها مع الناشر وبعض المحامين قبل نشرها ، وحذفنا منها بعض المشاهد وعدة كلمات ثم بعد ان صدرت بحوالي عامين ثار حولها بعض الحديث ، عن حرمانها من التداول بالبريد ، واكتشف هذه الحيلة احد مفتشي البريد من الكاثوليك متطوعا لكن ثم يحدث ان حرمت من هذا الحق . كذلك حذفنا بعض الجنس في رواية « البعض جاءوا عدوا » لقد وجدت ذلك تعليقا رائعا على تلك الدنيا التي نعيش فيها ، ان نخرج بذلك التمايز بين ما يمكن ان نقول ، وبين ما يمكن ان نفعل وبين ما يمكن ان يكون في الحياة الخاصة والعامة . ان كتابي الاثنين ، وما كان علينا ان نجتزىء منهما مثل دال على ذلك .

س : يراودني الان هذا السؤال ، الان وانت تعيش في باريس الم تفكر في العودة الى اميركا والاستقرار هناك ؟

ج : نعم بطبيعة لحال ، لكن يدور في ذهني الان فكرة كتاب احب ان انجزه قبل العودة الى وطني ، ولهذا الكتاب خلفية وجو ايطالي . كلتا هاتين الروايتين ، الباريسية والايطالية سوف تكونان بالتاكيد روايتين عظيمتين ،او هكذا آمل . ستكون كل منهما مضغة كبيرة يعمل فيها الفكر ان جاءتا كما خططت لهما . كنت ادون الملاحظات لكل منهما منذ اعوام عديدة . ولهذا سيكون امامي وقت طويل جدا قبل ان اعود الى اميركا .

س : هل تحس ان موقفك ازاء عملك قد تغير منذ ان جئت لتعيش هنا في باريس ؟

ج : كلا . ارى انه من اليسير عليّ ان اعمل في اي مكان ... هذا اذا لم افقد وعيي تماما من الشراب كل ليلة . وبالرغم من انني لم اكتشف ذلك منذ وقت طويل جدا . عندما تزوجت ، وتركت اللينوي الى نيويورك ثم الى باريس ، كنت اصدر عن قضية محسوسة في ذهني ، في ما اذا كان بوسعي ان اعيش من يوم الى يوم مع اسرة واصدقاء من حولي وان اواصل مع ذلك القيام بالعمل الذي اود تحقيقه . كنت خائفا ان لا استطيع ، كنت مذعورا ان يتحتم عليّ ان اعيش وحيدا لكي اكتب .

س : اكان من اجل ان تحقق تلك العزلة للكتاب الاخرين ان شيدت (بارباحك من رواية الابد فيما اعتقد) مستعمرة للكتاب في مارشال في اللينوي ؟

ج : كانت هذه الفكرة جزءا من محاولة المصالحة في ذلك الوقت. لكنه لم يكن من اجل تحقيق العزلة اكثر مما كان تحقيقا لتلك الفكرة . ان مستعمرة كهذه قد كانت دائما احد احلامي . وقد كنت صادقا . اعتقد انك لو هيأت للشبان الذين يرغبون في الكتابة مكانا يمارسون فيه الكتابه حيث يستطيعون ان يعيشوا وان ياكلوا بحرية ، فلسوف يكتبون بالتاكيد ودعك من العامل الاقتصادي فلم يكن له اثر او تاثير ، وان كان هذا المشروع قد كلفني نقودا باهظة . ولكي اتعلم ذلك دفعت ما هو اغلى بكثير . اغلب الظن اننا جميعا نود ان نصدق ان الناس جميعا افضل مما هم في واقعهم . لكن اولئك الشبان رغم انهم جميعا كانوا يريدون الكتابة باستماتة ،وحتى بالرغم من انه قد تيسر لهم المأكل دون اجر او فوائد ، ما زالوا لا يكتبون . اعتقد انك لا تستطيع ان تلتقط اي رجل من الشارع وان تحوله الى كاتب بان تتيح له ظروفا يتوفر في ظلها على نسخ امهات الكتب . عليك ان تجهد حقيقة لكي تكتب. اعتقد انه لا بد ان تتوفر الموهبة اولا ، ولكن حتى اذا توفرت تلك الموهبة فانه لا يزال عليك ان تصقلها كثيرا لكي تكتب . وايا كان الامر فان ثلاث روايات جيدة صدرت عن هؤلاء ، وهناك اثنان منهم كادا يفرغان من روايتيهما الاخريين .

س : هل لك الان ان تحدثني قليلا عن عاداتك الخاصة اثناء العمل ؟

ج : عادات طبيعية فيما اعتقد ، انني استيقظ مبكرا ، قبل اغلب اولئك الفتيان ، بين السابعة والثامنة ، ربما ما يمكن ملاحظته من تلك العادات انني احب الخروج فيما بعد الظهر وقبل غروب الشمس ، وانني بعد ان استيقظ استغرق حوالي ساعة ونصف ساعة في التكاسل والتراخي قبل ان استجمع شجاعتي على العمل . ادخن نصف علبة من السجائر ، واشرب القهوة حوالي ست او سبع مرات ، واقرأ اليوم عما ساكتبه غدا ، واخيرا اكون قد استنفدت كل حججي فاتوجه الى ماكينة الكتابة واقضي في الكتابة عليها ما بين اربع ساعات وست .. ثم اتوقف ، ونخرج ، او نبقى بالمنزل للقراءة .

س : وما مدى انتاجك اليومي ؟

ج : الامر يتوقف ... قد لا اكتب اكثر من صفحتين في اليوم، وربما اقل من ذلك ، او اذا كنت اكتب حوارا او مشهدا سبق ان تحدد في ذهني استطيع ان انتج عشرا او اثنتي عشرة صفحة . ومع ذلك فالمعتاد اقل من ذلك بكثير . ثلاث صفحات ، ربما ، ثم عليّ بعد ذلك ان اراجعها طوال اليوم التالي . اغلب الظن انني قد اصبت بنوع من الجبر العصابي ان انجز كل شيء كاملا تماما قبل ان اتركه واواصل .

س : انت اذن تبذل جهدا كبيرا في المراجعة ؟

ج : نعم ، وخذ مثلا هذا المشهد ـ هذا الفصل او هذا الجزء ـ الذي كنت اعمل فيه مؤخرا . انك تلحظ ، بسبب طبيعة الكتاب الذي اتوفر الان على العمل فيه ، انني اكتبه في اجزاء ، اكتبه من فصول مفرطة الطول حوالي مائة صفحة ، وهذه الفصول حتما ستمشي من داخلها بما اسميه فصولا داخلية ، مقطوعات بالغة القصر لها زمن اخر وتصدر من خلال وجهة نظر ، لا بد ان تكتب على هذا النحو لا محالة ، او على نحو مماثل ، لن اخوض معك في تفاصيل ، لكنني حقيقة اعمل الان منذ حوالي شهرين في حوالي اربعين صفحة اعتقد انها الان قد اصبحت صالحة بما فيه الكفاية ويمكنني ان اتركها واواصل . حسنا ، من بين تلك الصفحات الاربعين ست او سبع صفحات من الحوار كتبتها في حوالي نصف ساعة عمل نصف ساعة من عمل دام حوالي شهرين لكني لم اغير منه كلمة فلقد كان جيدا .

س : انت تجد اذن سهولة في كتابة الحوار اكثر من اسلوب السرد المباشر ؟

ج : نعم هذا ما كنت اقول ، وان كان لي تحفظ ، ان الحوار سهل للغاية تقريبا ، بالنسبة لي ، سهل جدا الى حد يجعلني اتشكك فيه ، ومن ثم فان عليّ ان احتاط معه . قد اجد نفسي احيانا اروغ من مشاكل تحتاج الى جهد بالغ في التعبير ، والجأ الى الحوار لان الحوار طيّع معي يعينني عليها ، ثمة قضايا هامة

وبعض النقاط الدقيقة عن الناس وعن السلوك الانساني احب ان اسجلها في الكتابة ، ومن السهل اما ان اتملص منها او ان اسجلها بشكل سطحي ،نصف نصف ـ وبالتالي افضل الافلات بان اكتبها ببساطة في حوار جيد . ويصبح الامر بالنسبة لي اكثر يسرا وتتزايد سهولة كلما توثقت معرفتي بالناس . على ان الحوار الجيد وحده لا يكفي لشرح التشعبات الاكثر دقة في طبيعةوسلوك الشخصيات والاحداث التي احاول الكتابة عنها الان . ليس الحوار الواقعي على اي حال . ربما اذا استخدمت نوعا من الحوار السريالي ... لكنه قد يبدو حينذاك كقصة حلم ، لن يكون حديثا حقيقيا ، فعلى سبيل المثال ، من الواضح تماما انه في اي حوار تقريبا تحدث الاشياء للناس في نوع من الحوار الذي لا يعبرون عنه ولا يستطيعون . في المسرحية يستطيع ممثل بارع ان يعبر عن انه يفكر في شيء اخر غير الذي يقول . لكنه امر رثوممجوج يدفع الى السخرية ، لانه لن يستطيع ان ينقل الينا حقيقة مايفكر فيه بشكل قاطع . اما في النثر ، وخاصة في الرواية ، يصبح من المستطاع ذلك ، اذا لجأ الانسان الى حيلة ما فمن السهل شرحها على نحو محدد، كما يمكن تفسير السبب الذي من اجله لجأ الى ذلك . الواقع ان الحوار في الحياة المعاشة ، هو اقرب ان يكون محاولة للمراوغة المتعمدة ، وللفوضى المتعمدة من ان يكون اداة للاتصال والتوصيل . كلنا كذابون ومخادعون حقيقة . والروائي وحده هو الذي يستطيع ان يقول لنا كيف نحن كذابون ومخادعون ولماذا نحن كذلك .

س : سمعت انك تقول ان رواية « البعض جاءوا عدوا » هي احسن ما كتبت من روايات حتى الان ،فهل عندك ايضا شخصيات اثيرة ؟

ج : حقيقة اعتقد ان تلك الرواية هي احسن اعمالي. لقد كانت ـ الى جانب اشياء اخرى كثيرة بالطبع ـ تجربة ، تجربة في استخدام الاشكال الدارجة في العرض والسرد في الكتابة . الرأي عندي ان الاسلوب الكلاسيكي في الكتابة يميل الى ابعاد القارىء درجة معينة بعيدا عن التجربة المباشرة . بالنسبة لاي قارىء عادي ، اعتقد ان الاسلوب الدارج يجعله يحس على نحو افضل كما لو كان في قلب الحدث ، بدلا من ان يحس انه فقط يقرأ عنه .

س : هل تضع في ذهنك دائما قارئا مثاليا محتملا عندما تكتب؟

ج : اعتقد ان هذا ضروري . اعرف ان ثمة عددا كبيرا من الكتاب يقول « الى الجحيم بالقارىء » ان كان عليه ان يجهد ليقرأني فليجهد ، ان كان يريد ان يقرأني ، اما انا فلا اعرف بماذا احس ازاء ذلك . يخيل الي" انني احيانا اجد نفسي في مكان بين هذين الطرفين . اعتقد ان على الكاتب ان يساعد القارىء قدر طاقته دون ان يفسد ما يود قوله ، ولستاري انه مما يضر بالكاتب او يسيء اليه ان يتوقف بين حين واخر وان يطل الى الوراء على مادته كما لو انه يقرأها لا يكتبها .

س : لنعد الى ما كنت تقول عن روايتك « البعض جاءوا عدوا »

ج : سبب اخر يجعلني احب هذه الرواية كثيرا هو شخصياتها. انهم اناس حقيقيون الى حد كبير يفوقون في ذلك ، في خبثهم ومكرهم ، الشخصيات في « من هنا والى الابد » وهذا هو السبب في انني اعتقد انها افضل اعمالي .ان رواية « البعض جاءوا عدوا » تناضل الى اغوار عمق في نفوس الناس اكثر من « الابد ٪ » اما عن تفضيلي لاي من الشخصيات في مجموع مؤلفاتي فعندي نوعان . الاول عاطفي والثاني حرفي . خذ مثلا شخصية صاحبنا «جينستالي» انه اثير الى نفسي عاطفيا ، ولكن من وجهة نظر الحرفة فانا اكثر اعجابا « بديف هيرش » اكثر من اي شخصية اخرى في « الابد ٪ » وهذا راجع الى حد كبير الى ان دراستي لديف تصل الى اعماق ابعد، انها تصل في تلك الاغوار الى ذلك الشذوذ الذي ينجم عن خداع الذات والذي نعمل نحن جميعا كبشر في ظله .

س : هل تستمد شخصياتك من الحياة ؟

ج : يخيل الي" ذلك ، ولكن بمرور الوقت الذي اتعامل فيه معهم ، يبدو لي انهم ليسوا كاي انسان اخر ، وانما هم ما هم انفسهم . لعله من الافضل ان تقول انني استخدمهم كنقطة انطلاق . وهنا امر طريف ، فلقد اتهمني كثيرون من كتاب المقالات والنقاد بانني اصور نفسي ـ اؤرخ لحياتي ـ في كل شخصياتي تقريبا . ولقد قيل انني ديف هيرش ، وبالطبع لا يمكن ان اكون انا هؤلاء جميعا في وقت واحد . كان هناك دائما اناس ، يميلون الى خلع مسحةرومانسية على شخصية « برويت » كبطل ، وكان هؤلاء يرفضون بسطحية ان يصدقوا انني لم ارسم شخصية برويت مستمدا خطوطها من نفسي، وحتى عندما اخبرتهم انني لم افعل ظلوا لا يصدقون . اغلب الظن انني عندما كنت صبيا ، كان برويت هو الشخص الذي اتمنى ان اكونه ، وكذلك كان واردن ومن الناحية الاخرى لم اكن اتمنى ان اكون ديف هيرش . ومع ذلك فانا ، فيما اعتقد ، استمد شخصياتي الى حد بعيد من الناس الذين عرفتهم في وقت او اخر . واحيانا، مع ذلك تكون حادثة هي التي استلفتت نظري ، وعندئذ احاول ان اتخيل شخصية تناسب تلك الحادثة ، وخذ مثلا الرجل الذي قتله فاتسو جودسون في ذلك المكان المحاط بسور خشبي في بلوز بري ، لم يحدث ان عرفته قط .

س : الم يحدث ان كنت هناك ابدا في ذلك المكان ؟

ج : تقصد مكان البريد المحاط بالاسوار عند ثكنات سكوفيلد باراكس ؟ كلا ، لم يحدث ان ذهبت هناك بنفسي ، ولكني لا احب ان اقول اكثر من ذلك .

س : اذن فدعني اسالك سؤالا مجردا اكثر من هذا . ان روايات طويلة مثل « الابد ٪ » و « البعض جاءوا عدوا » لا بد وانها قد القت امامك بمشاكل هائلة فيما يتعلق بالبناء ، هل بوسعك الان ان تصف لي على اي نحو تمضي في تشييد بناء رواية ما ؟

ج : انا لا اجول حولها . انني اصوغ الرواية وانا امضي قدما. ابدا بمشكلة تمتعني او تثيرني ، كمشكلة الفردية ، ثم اتمثل شخصية تمثل ، الى حد ما ، الفكرة المجردة للمشكلة . لا كرمز لها فما اشد مقتي لاستخدام الشخصيات كرموز ، فما من انسان هو رمز في الحقيقة: في رواية « المسدس » كان « ماست » والشخصيات الاخرى رموزا بارادتهم لمظاهر مختلفة للانسانية ، كلهم يناضلون من اجل نوع من الخلاص ، الذي تمثل بدوره هو المسدس نفسه ، والقصة نفسها رمز لكل الوان القوة المضحكة و المدمرة في نفس الوقت والتي يقترفها الناس كل في حق الاخر ظنا منه انه بهذا العمل وحده يستطيع الوصول الى الخلاص . يمكنك ان تقول ان رواية المسدس ككل كانت تجربة في كتاب رواية قصيرة الرمز فيها متعمد . لا باس ، لان العمل السهل منفذ سهل . اما الكائنات الانسانية نفسها ، فليس منالسهل بحال تحويلها الى رموز ، انها ليست سوداء خالصة السواد او بيضاء خالصة البياض ، انها تلك الكائنات الانسانية ، لم تعد بعد حقيقة انسانية على الاطلاق . وهذا هو السبب في ان اصبح من السهل ان تقبل اناسا حقيقيين باسم مبدا ايدلوجي لعين او اخر ، متى حدث ان استطاع القاتل ان يجردهم في ذهنه الى مجرد رموز ، فانه لن يجد مبررا للاحساس بالاجرام لقتلهم حيث انهم لم يعودوا كائنات انسانية حقيقية بعد . وتحويل الشخصيات الى رموز على هذا النهج ، مخرج سهل للكاتب مثلما القتل مخرج سهل للقاتل الايدلوجي انني افضل الكتابة عن اناس ليس من السهل تصنيفهم . في مثل هذا النمط من الروايات تكون هناك المشكلة مماثلة ويكون بوسعي

ان اعطي لها تعريفا مجسدا ماثلا .

انني اجهد دائما في محاولة ذلك ، ولكن بدلا من طرح الفكرة المجردة ـ اذا كان في مقابل ب تكون النتيجة ج ـ اتناول الناس ولسوف يمثل واحد منهم كثيرا او الى حد ما (ولكن على ان يكون له الحق الا يمثل أ اذا شاء) وسوف يمثل اخر ب في كثير اوقليل حينئذ عندما اضع أ في مواجهة ب فان النتيجة يمكن ان تكون س او ص بدلا من ج ، لانه باعطاء فرصة الوجود لذلك المجهول انيكون هناك لا يكون بوسعي حقيقة ان اتنبأ بما سيحدث الى ان يكتب كل بنفسه اجابته ، لان القضية قبل كل شيء هي ان هذه المشكلة ـ ايا كانت ـ هي سؤال لم اجب عليه انا نفسي ، وهي سؤال لا احس بالارتياح للاجابة عليه ولا ادعي الاجابة عليه لنفسي او لاي انسان اخر. ويحسم الامر على هذا النحو فانا اترك الناس يكتبون قصتهم بنفسهم. اعطيك مثلا . لقد كتبت ثلاثمائة صفحة من « الابد » دون ان ادرك ان واردن ستكون له علاقة ما بكارن هواز ومن ثم كان عليّ ان اعود الى ما كتبت مرة اخرى لامهد لذلك .ولكن حتى تلك اللحظة لم اكن قد عرفت بعد كيف ستنتهي تلك العلاقة . كنت اعرف فقط انه بسبب مواقفهما فان تلك العلاقة لن تستمر ولا يمكن ان تستمر وفي رواية « البعض جاءوا عدوا » اظن انني اشتغلت في ذلك العمل لمدة ثلاث سنوات قبل ان اعرف ما اذا كان ديف هيرش سيتزوج حقا تلك السليطة ذربة اللسان جيبني مورهيد ، ومن ثم مر عام قبل ان يكون بوسعي ان اكتشف ما اذا كان سيتركها ام لا بعد انتزوجها بالفعل . اما فيما يتعلق بمسألة البناء في « البعض جاءوا عدوا » فاعتقد انه سليم . ان كان لي ان اثني على نفسي قليلا في هذا الحديثدون ان اخلق لنفسي اعداء كثيرين ، فاني احب ان اقول انني اعتقد انني امتلك نوعا من البراعة او ما تحب ان تسميه ، التشييد البنائي . وسوف اسلم ب ..

س : بالنقد ؟

ج : ان النقد ليسبالكلمة الدالة بما فيه الكفاية كما يقال عني سوف اسلم بان عملي اطول من اللازم في بعض الاحيان ولكني اشعر ان من حقي ان اسهب في الكتابة بين الحين والاخر عندما اجد فيه شيئا يمتعني واحب ان اعرضه ، وطالما انه يتسق والاطار العام لشخصياتك . وعلى ذلك ، فايا كان الامر ، اعتقد انه كان بامكاننا ان نحذف من عملي اكثر مما حذف منه حقيقة . كان من الممكن ربما حذف مئات الصفحات علاوة على المائة وخمسين صفحة التياجتزأناها من الالفين وخمسمائة صفحة من الصفحات المكتوبة على الآلة الكاتبة . وخير مثل لهذه الحالة قصة «القادة في الطريق» حيث كانت « باما » تعلم « ديف » كيف يجيد القيادة ، هذا الجزء الذي كان (ككعب اخيليوس) هدفا لسهام وقنابلكثير من النقاد . بالتاكيد كان من الممكن اجتزاؤه دون الاضرار بالقصة الرئيسية ، لكنها ظاهرة اميركية ، لم ار من سبق الكتابة عنها ، واعتقد انها ممتعة وانا سعيد اني تركتها ولم آخذ منها .

س : هناك ناقد اخر : ليسلي فيدلر كتب مقالا رفيعا عن رواية « من هنا و الى الابد » ووضع لهعنوانا « المتشرد كبطل للثقافة الاميركية » وكانت وجهة نظره ان شخصية المنبوذ التي رسخت تقريبا في الادب الاميركي كانت قد اعيد تصويرها في روايات شتاينبك ودوس باسوس على انه رجل متشرد وهو يقول ، اعني فيدلر، انه من « بريوت » يعود المتشرد ثانية ، يعود هذه المرة في نهاية تجواله ، الى الجيش ، لكنه في الجيش يكتشفه الناس انه فنان، لقد منحه الجيش بوقه ، لكن التشرد هو الذي خلق منه فنانا .

ج : حسنا ، ليكن ذلك ، ولكن ماذا كان استنتاجه من هذا كله ؟ لست اقول انني اختلف معه بشكل خاص ،على الاقل ليس بعد الا في نقطة واحدة ، انا لا اوافق على ان التشرد هو الذي جعل بروبت فنانا . ان ما جعل بروبت فنانا ، في تفسيري الخاص ، هو ان اباه كان قد اعتاد ان يضرب امه العجوز ،مثلما اعتاد ان يضربه هو نفسه ، وان سيده العجوز مثل كثير من الحيوانات الانسانية الذكور ، لم يكن ببالي مثقال ذرة . وكان هو دائما يتبارى بمعنى ما ـ مع صورة ابنه الذي كان يحاول دائما ان يسترضيه .. اما عن الابطال المتشردين عند شتاينبك ودوس باسوس ، سواء كانوا هم ورثة اسماعيل المنبوذ ام لا ـ اغلب الظن انهم ورثته ـ فالملاحظة الاساسية حولهم انهم كانوا جميعا مرتبطين بالثورة الاجتماعية التي جاءت في الثلاثينيات . ولعله من الممتع حقا انه اذا كان بروبت وريثا للمنبوذ ، فالحق ان بروبت الجوال لم يجد امامه مكانا ترك له ليذهب اليه الا الجيش ـ حيث اصبح ، فنانا كان ام لا اصبح في حماية الحكومة ، وهو ما يحدث اليوم فياي مكان حتى لرجال الاعمال . والمتمتع بحماية الحكومة ، مهما كان خلاف ذلك ، هو قبل اي شيء رهن لاشارة الحكومة بالقتال دفاعا عنها ، او ماذا تعتقد ؟ لكن الجيش الذي التحق به بروبت في اواخر الثلاثينيات لم يكن حينذاك هو نفس الاداة المطلقة في يد الحكومة التي يمثلها الجيش اليوم . لم يكن ، في اثره الفعلي ، هو الجيش الذي عاد اليه ديوي كول وهوبي مورسون في « البعض جاءوا عدوا » اربع سنوات من حياة مدنية لا معنى لها ، وكان ذلك بعد الحرب العالمية الثانية ، وهذا يجعل الامر اكثر جهامة وعبوسا . لكني احب ان اثير موضوعا اخر ايضا هنا ، هو انه اذا كان صحيحا ان ما يسميه فيدلر « متشردا هو بطل ثقافي لبعض الكتاب الاميركيين المحدثين ، فاني اعتقد ان السبب وراء ذلك هو ان هؤلاء الكتاب قد اجهدهم زيف الثقافة الوهمية ونوع العلاقة السطحية التيؤدي اليها ذلك . ان ناقدا اخر ، قبل ادموند فوللر يقول نفس الشيء الذي قاله فيدلر تقريبا ، ولكن بوضوح اكثر بكثير . انه يسميها « الفلسفة الساذجة » ويسميهم « السذج » « الابطال المتشردين ». لست اعتقد ان بروبت احد هؤلاء السذج ، وان كان ساذجا بالنسبة لرجل من طراز السيد فولر . انه فج خشن وسوقي ، وربما كان فولر يعتقد انه بالاضافة الى ذلك لا احساس له . ونفس الامر يصدق بالنسبة لديف هيرش .

س : اعتقد ان ديف هيرش رجل ساذج .

ج : حسنا انه كذلك في كثير ، لكن تلك احدى النقاط التي تهتم بها الرواية ، تاتي نهايتها عندما يكف ان يكون ساذجا ،وقد كان هذا امرا مؤلمابالنسبة له ان يتعلم هذا . لكن هؤلاء الصحاب مثل فولر يقتنصون لانفسهم ميزة غير نزيهة من شخصياتي بصنوفهم الاجتماعية الغريبة . انني افكر مع الساذج على انه امرؤ له « أنا » غير سوية تجعله يغلق عقله على اعتقاداته وآرائه الصغيرة التي ينحاز لها . وبهذا التعريف يمكن ان يصنعه حتى الرجلالمتنور مثل السيد فولر ، وانا لم اشر الى ما اذا كان ديف هيرش قد حصل على الدكتوراه او حتى ما اذا كان قد ذهب الى المدرسة ام لا . لا اعتقد ان بمقدور التربية ان تجعل الانسان اكثر حساسية ، وانما اعتقد ان تجاربه في حياته ، حين يكون قادرا على مواجهتها وقبولها ، هي القادرة على ذلك . وبهذا المعنى فان التعليم نفسه يمكن ان يساعد الانسان على ان يكون ساذجا ، حسب تعريفي لذلك الساذج لانه يستطيع ان يلوذ بالسذاجة بالتظاهر بانه حساس بينما لايكون كذلك في الحقيقة .

س : هل تشعر ان التربية الاكاديميةيمكن ان تضر بالكاتب؟

ج : اعتقد انها تستطيع ذلك بسهولة بالرغم من انها لا تضر به بالضرورة . ان معظم المناهج المفككة التي درستها في الادبكانت لا تخلو من سذاجة خاصة . فاستاذ الادب حين يتملق كتابا بعينهم فان ذلك التملق يستقر في ذهن الطلبة ، (والمعلم هو في الاغلب كاتب

فشل بشكل او اخر) اقول ان ذلك يستقر في ذهن التلميذ الى الحد الذي يجد عنده الطالب نفسه يتساءل عما اذا كان لديه شيء يقوله ولم يقله تولستوي او جيمس ، بالفعل بشكل افضل . وعلاوة على ذلك ، فان اغلب الدروس تهتم ـ فيما يبدو ـ بالكتابات اكثر مما تهتم بكيفية الكتابة ، وهو ما يصعب تدريسه على اية حال.

س : من من الكتاب كان له اكبر الاثر عليك ؟

ج : اعتقد انهم نفس الكتاب الذين تاثر بهم اغلب ابناء جيلي، فوكنر ، هيمجاوي ، فيتزجرالد ، دوس باسوس ، شتاينبك ، ومن الكتاب القدامى ايضا جيمس ، هوثورن ، امرسون . ماذا تريد ؟ قائمة؟ وكذلك جويس بالطبع . وبطريقة اكثر عمقا اعتقد ان ستندال اولا ثم دوستوفسكي في المكان الثاني قد اثرا عليّ كثيرا في الاتجاه الذي اتخذته في فكرتي عما احببت ان احقق . لقد اثرا عليّ اكثر مما اثر عليّ انسان اخر . ولقد تحدث الناس جميعا عن الاثر الذي طبعه عليّ وولف ككاتب ، لاني اعترفت ذات مرة امام الناس ان قراءة وولف هي التي جعلتني اتاكد انني انما اردت لنفسي ان اكون كاتبا. ولقد اتهمت بانني قد اخذت كل خلل وولف (ان كان خللا حقا)، مثل سوء الانتقاء ، وعدم صقل الاسلوب وغير ذلك الكثير ، ولست اعتقد ان ايا من هذه النقائص صحيح . لقد اثر عليّ وولف كثيرا حقيقة فيما يتعلق بتوجيهي الى الكتابة ولست واحدا من هؤلاء الذين يندفعون مع الموجة الدافقة التي تهاجم وولف . وعقيدتي انه كان كاتبا عظيما لكني اتصور انني افترقت عنه بعيدا في زاوية الرؤية والاسلوب وحتى الانتقاء ، ولقد بعدت عنه بالتاكيد في بناء الرواية . (يخرج جونز من جيبه مطواة ، يفتحها)

س : هل تحمل هذه المطواة التي في يدك للحماية ؟

ج : اراهن انك رايت تلك الصورة اللعينة لي في مجلة « التايم » كلا ، انني استخدمها في تنظيف اظافري فحسب ، انظر ، اترى ؟ لقد اصبحت مقصا ايضا ، وكذلك مبرد اظافر ، ومثقابا ، وفتاحة زجاجات وقد تصادف انها لا تعمل جيدا .

س : حسنا ، الحق اني كنت اعجب ، ان ثمة قدرا كبيرا من العنف الجسماني في رواياتك ؟

ج : هذا صحيح ، فان بها ذلك العنف ، لكن اليس العنف شيئا كائنا في الحياة ؟ .

ومن ثم ، نظريا ينبغي ان يكون المرء قادرا على حماية نفسه منه ، اعني ان المثل الاكمل سيكون ان على الانسان الذي لا يكون بالضرورة ضد العنف ان يكون قادرا على حماية نفسه ضد اي شكل من اشكال العنف . لكن هذا نادر جدا في الحياة ، وقد كان هذا هو ما انبعثت الى الوجود واحدا من اهم التبعات في « من هنا والى الابد » ، لماذا لم يطلق بروبت الرصاص على الذين يقتلونه عندما كان يحاول العودة الى وحدته بعد ان قتل فانسوجودسون ؟ انت ترى ، عندما يقتل بروبت فانسو فانه ينفذ نظرية الانتقام باستخدام العنف الى نهايتها المنطقية ، لكن القضية ان فانسو لا يعرف لماذا يقتل ، وعندما يرى بروبت ذلك يدرك اي عبث ذلك الذي فعل ثم في النهاية عندما لا يطلق النار على اولئك الذين سيقتلونه ، يكون ذلك لانه تقبل ذروة النهاية المنطقية للمقاومة السلبية ، والتي هي الموت .

س : هل انت من دعاة السلام ؟

ج : لكم احب ان اكون . لعلك ترى انني قد اصبحت ارى الجسارة هي اكثر الفضائل اضرارا . انها شيء فظيع لقد ورثها الجنس البشري عن عالم الحيوان وليس بوسعنا الخلاص منها . هناك شبان كثيرون ، كما تعلم ـ شبان امريكيون وشبان في كل مكان . جيل باكمله من الشبان اصغر مني سنا كبروا وكبر معهم احساسهم بالقصور كرجال لانهم لم يكونوا قادرين على القتال في حرب يختبرون فيها انفسهم، هل هم شجعان ام لا ؟

الحقيقة انني في هذه اللحظة احاول ان اكتب رواية ، رواية عن الحرب (خيط الاحمر الرفيع) هي بالاضافة الى انها عمل يقول الحقيقة عن الحرب كما اراها ، سوف تحرر هؤلاء الشبان من ربقة تلك الفروسية التي نمارسها في نفوسهم . اعتقد انه قد كتب عن صراع الحرب بامانة وقد كان التعبير عنها يأتي في مصطلحات الشجاعة والجبن ، وانا ارفض كل تلك الكلمات كمصطلحات لا تزال لا دلالة انسانية ، بل انها لا تنطبق ، في الواقع على ما اصبحت عليه الحرب الحديثة اود لو حاولت الكتابة عن الحرب من خارج ذلك الاطار تماما ، واقول احاول لان بين جوانحي ذلك الخوف من ان يظنني الناس جبانا كما ترى . لست ادري ما اذا كان بوسعي حقا ان اكون امينا للروح التي احسست بها فعلا . لكني اظن انني قد خطوت خطوات واسعة نحو فهمي لنفسي . واظن ايضا انه في حياتي الان اقل خوفا من ان اظن جبانا مما اعتدت ان اكون .

س : ان حديثك عن رواية الحرب هذه التي « سنقول الحقيقة » كما رايتها تذكرني بسؤال ما ، اراك دائما ما تدفع بالروائي الشاب « والى دينيس » في رواية « البعض جاءوا عدوا » ان يسأله لنفسه انه يقول : « انني اعجب ما اذا كان بوسع الشاب حقيقة ان يؤلف كتابا عن الناس كما هم في واقعهم وان يجعله في نفس الوقت ممتعا في قراءته ؟

ج : هذا صحيح وان كنت اعتقد انني قلت واضحا في قراءاته وليس ممتعا في قراءته . لقد كان لا يفارقني الاحساس ان كل شخصية اتبعتها الى الوجود ، قد خلقتها ككائن انساني افضل مما يمكن ان تكون او يكون حقا في ظل مجموعة من الظروف ، او الافضل مما هو عليه نمطها الحقيقي في الحياة المعاشة . ان والي دنيس ـ ان كنت تذكر ـ ينطبق عليه ذلك ، كما ينطبق على امه نفسها ، اذ اي ساذجة غبية انانية كانت امه في الواقع . لا اعتقد ان الناس يحبون ان يقرأوا عن انفسهم او عن الاخرين وان يروا فيما يقرأون انفسهم عارية كما هي في الواقع ، فذلك فظيع .

واخيرا فان علينا ان نضفي على انفسنا قليلا من الاحساس باننا كائنات بشرية ، ان نؤكد تاكيدا قويا باننا بشر ولكن من وقت لاخر تطفو الحقيقة الحقيقية لتبلغنا ونحن في ذلك السجن الذي زج بنا اليه ـ ونحن في قلب ذلك العنف الذي كنا نتحدث عنه من قبل » في شكل او اخر من اشكاله .

س : اذن فقد كنت فيما مضى تخلع عن وعي على ابطالك مسحة رومانسية ؟

ج : ـ لست اعرف الى اي مدى كان ذلك عن وعي والى اي مدى لم يكن . اما الذي احاوله الان فهو ان اخلع عليهم مسحة رومانسية اقل ، انني اعجب ما اذا كان بوسعك ان تخلق بطلا ـ وانا لا احب تلك الكلمة ـ ان تخلق « بروتاجوناست » صاحب الدور الاول دون ان تخلع عليه مسحة رومانسية على الاطلاق، اغلب ظني انه لن يكون سهل القراءة . انا لا اصدق ان ثمة من يصدق ان الكائنات الانسانية بهذا السوء ، ومع ذلك فنحن جميعا بهذا السوء .

س : السوء ؟

ج : نعم

س : فيم ؟

ج : سيىء بالنسبة لمجموعة القواعد الاخلاقية المختلفة التي ارتضينا ان نعيش في ظلها . اعني ان اعمال كل انسان وافكاره تقف على النقيض تماما من تلك القواعد الاخلاقية التي نحاول جميعا ان نضعها لانفسنا الى حد ان الناس قد يتذكرون تلك الافعال والافكار في رعب حين تعرض عليهم من جديد .

س : لكنك الان بصدد ان تكتب تلك الرواية التي هي واقعية تماما فحسب ؟

ج : ـ نعم ،لكني لا احب تلك الكلمة « واقعية » كثيرا . لقد قيل عني انني واقعي ، وانني طبيعي لكني لا اعرف ما اكون ، وما يكون الكاتب الواقعي وما يكون الطبيعي ، اللعنة ، ان ادموند فوللر يعرف الكاتب الواقعي بانه رجل قذر بالضرورة ـ قذر في مظهره وفكره، اتعرف ، ليس لطيفا ..

س : ـ دعنا نعد لحظة الى محتوى رواياتك لقد اذهلني حقا ان اقرأ فيها عدة العاب ، بوكر الشطرنج ، الملاكمة ، الخ ..ـ تلك الالعاب التي تمثل بوضوح في عملك ، بماذا تفسر هذا طبعا ،بخلاف قولك بان الحقيقة ان هذه الالعاب موجودة بالفعل ؟

ج : ـ حسنا نعم بالطبع هذه الالعاب لها وجودها ، والحقيقة انني ولا ازال مسحورا بها . على سبيل المثال اني قضيت يوم الاحد الماضي ثماني ساعات متواصلة امارس لعبة السهام .. الانجليزية مع بعض الصحاب ، وكان من الممكن ان نستمر ايضا طوال الليل لولا ان زوجاتنا اوقفننا . لماذا نفعل ذلك ؟ اعتقد ان لذلك سببا واحدا هو اننا نسينا انفسنا تماما في غماره ، في التسابق ، وكنا في ذلك الوقت قادرين على نسيان كل شيء اخر : الفواتير ، القنابل الذرية ، هل بوسعي ان اكسب؟هل انا مجنون ؟ هل الانسانية مجنونة؟ الخ واذا كسبت ، فان الكسب يعني الكثير لذاتك ، لكنك ان خسرت، فتقول لا بأس ليس ذلك بالخسارة الفادحة على اي حال . انه شيء يشبه المخدر ، او كما لو انك شربت حتى اعماك الشراب ، او كما لو كنت تقامر . ولكن ابعد من ذلك اعتقد ان للالعاب دلالات في حياة الشعوب ، لانه في اللعب يكون كل شيء محددا . تعرف القواعد وتعطي زمنا محددا لك ان تلعب فيه ، تحدد امامك الحدود وبداية ونهاية . وسواء كسبت او خسرت وانسحبت ، ففي النهاية ثمة شيء محدد . لكن الحياة ليست كذلك بحال . ولهذا اعتقد ان الناس يبتدعون الالعاب ويمارسونها لكي يخدعوا انفسهم ، على الاقل للحظة، بالظن بان الحياة لعبة ، لكي ينسوا ان في نهايتها ليس ثمة من شيء الا حائط كبير من اللاجدوى .

س : في الختام احب ان اطرح عليك ذلك السؤال الهام الذي اساله لكل الكتاب : لماذا تكتب ؟

ج : حسن ، اعتقدان بوسعك ان تقول انني اود ان افرض شخصيتي على العالم ، او ان تقول اني اود الناس ان يعرفوا انني عشت ـ والامر اولا واخيرا يعتمد على زاوية الرؤية التي تنظر منها والحالة المزاجية التي تكون فيها ـ كلا الفرضين صحيحان فيما ارى ، لكني اعتقد ان القيمة التي تجعل الانسان يريد الكتابة وان يقرأه الناس هي بالضرورة رغبة لعرض الذات ، وهي رغبة ماسوشية مثل مرض او جنون التعري امام عيون الاخرين . اعتقد انني كتبت ذلك في مكان ما . وقد كان ستندال يفهم هذا جيدا وكذلك كان دستويفسكي لكن تولستوي لم ينتبه الى هذا ، وهذا هو السبب في زعمي انه اقل عظمة من هذين الكاتبين . لا بد وانك تريد حقيقة ان تقول الحقيقة عن ذاتك ولا يهم ما يقوله اي كاتب ، فكل شخصية يخلقها هي جزء من ذات نفسه ، سواء خلع عليها مسحة رومانسية او لم يفعل ولكنك لكي توفق في ذلك عليك ان تغوص الى اغوار ذاتك وتحاول ان تكتشف ما الذي يجعلنا نرغب في اشياء بعينها ونرغب عن اشياء اخرى او نخشاها . ولكنك حين تكتب اذ ذاك يكون ذلك الذي اكتشفت هو بالضرورة ماسوشية . انني على يقين ان واحدا من اطباء النفس ممن لا يكتبون بوسعه ان يريك كيف يرتبط ذلك كله مع ما اشعر تجاهه بانه عنف ، ومع الحاجة الى المقاومة السلبية ، ولكني لا اعرف الى اى حد يكون ذلك مفيدا في اعلامك كيف يصبح الانسان كاتبا .

القاهرة — ترجمة كمال ممدوح حمدي

صدر حديثا :

* كارل ماركس : تاريخ حياته ونضاله	فرانز مهرنغ
* ستالين : سيرة سياسية	اسحق دويتشر
* بيان الحزب الشيوعي (ترجمة جديدة منقحة مع مدخل لقراءة البيان	ماركس وانغلز
* تعاليم الماركسية	انغلز
* تحرر المرأة العاملة	الكسندرا كولونتاى
* احاديث المصنع	جيمس كونولي
* نصوص حول الثورة الدائمة	ماركس ، انغلز ، لينين ، تروتسكي
* على خطى كارل ماركس : كيف طبق الفيتناميون الماركسية على ثورتهم الظافرة	ترووتغ شينه

منشورات دار الطليعة ـ بيروت

ص. ب. ١٨١٣ ت : ٢٥٧١٧٨